

بلاغة التجريد في الحديث النبوي

هند محمود سحلول^{1*}

1-أستاذ مساعد في قسم اللغة العربية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة دمشق.
Hind72.sahloul@damascusuniversity.edu.sy

الملخص:

يعد التجريد من الوسائل التعبيرية والأساليب البلاغية التي استعملتها العرب وحسنت به كلامها قاصدين به أغراضاً منها التوسع في الكلام والمبالغة في التعبير. وعني به البلاغيون، وأفردوا له باباً بين أصناف علم البديع فعرفوه، وفرّعوا أنواعه، والتمسوا شواهد في أشعار العرب. وقد تواردت شواهد في الحديث النبوي في مواضع عديدة يظهر فيها إسهامه في التبليغ والتعليم في الخطاب النبوي. ومن ثم كان هذا البحث مستقراً مواظن وروده، واقفاً على فنونه وأساليبه، فقد تبين أن النبي ﷺ استعمل أحد نوعيه وهو التجريد المحض، دون غير المحض الذي لا ينسجم مع ماهية الخطاب النبوي. فبين البحث صور استعماله في الحديث النبوي، وأغراضه التي شملت تحقيق غاية التبليغ وبيان الأحكام من جهة، وغاية التوضيح والتأثير من جهة أخرى.

تاريخ الإيداع: 2025/05/18

تاريخ القبول: 2025/08/05



حقوق النشر: جامعة دمشق -
سورية، يحتفظ المؤلفون بحقوق
النشر بموجب الترخيص
CC BY-NC-SA 04

الكلمات المفتاحية: التجريد، التبليغ، الحديث النبوي، علم البديع، التوضيح، التأثير.

The Rhetoric of Abstraction in the Prophetic Hadith

Hind Mahmoud Sahloul^{1*}

1-An assistant professor in Damascus university.

Hind72.sahloul@damscusuniversity.edu.sy

Received: 18/05/2025
Accepted: 05/08/2025



Copyright: Damascus University- Syria, The authors retain the copyright under a CC BY- NC-SA

Abstract:

is one of the expressive means and rhetorical devices used by the Arabs to enhance their speech, aiming to expand speech and exaggerate expression. Rhetoricians have devoted considerable attention to it, devoting a chapter to the discipline of rhetoric. They defined it, subdivided its types, and sought examples of it in Arabic poetry. Examples of abstraction are found in numerous instances in the Prophetic hadith, demonstrating its contribution to communication and instruction in the prophetic discourse. Therefore, this research examined its occurrences, examining its arts and styles. It became clear that the Prophet (peace and blessings be upon him) used one of its two types, pure abstraction, as opposed to impure abstraction, which is inconsistent with the essence of prophetic discourse. The research demonstrated its uses in the Prophetic hadith and its purposes, which included achieving the goal of communication and clarifying rulings on the one hand, and the goal of clarification and influence on the other hand.

Keywords: Abstraction, Communication, Prophetic Hadith, Rhetoric, Clarification, Influence.

المقدمة:

تمتاز العربية بأنها لغة الإبداع والبلاغة. وموضع البلاغة من علوم العربية موضع الرأس من الجسد، فهي مستودع سرها ومظهر جلالها، فلا فضل لكلام على كلام إلا بما يحويه من لطائفها، ويودع فيه من مزاياها وخصائصها، فالعربية كما نكر ابن جني "فيها من الحكمة والدقة والإرهاق والرفقة ما يملك علي جانب الفكر حتى يكاد يطمح به أمام غلوة السحر" (ابن جني، دت، 48/1). وإن من تجليات حكمتها ودقتها أن "العرب قد تعتقد أن في الشيء من نفسه معنى آخر كأنه حقيقته ومحصوله، وقد يجري ذلك إلى ألفاظها لما عقدت عليه معانيها" (ابن جني، دت، 476/2).

ويظهر في ذلك إبداع المتكلم في تناوله للمعنى من خلال رسالة لغوية يُشرك فيها المتلقي في عملية تواصلية فريدة بإجراء فكري لغوي سمّوه التجريد، بيّنه ابن الأثير بأنه "إخلاص الخطاب لغيرك وأنت تريد به نفسك لا المخاطب نفسه" (ابن الأثير، 1420، 405/1). والتجريد وسيلة تعبيرية وفن بلاغي يصطف في علم البديع محسناً بديعياً معنوياً يلجأ إليه المتكلم لأغراض عديدة منها التوسع في الكلام والمبالغة في التعبير عن المراد، واستعملته العرب في جواهر نصوص أشعارهم ونثرهم وأمثالهم.

وقد تنوعت موارد التعريف به وبيان أقسامه بين أصحاب المعاجم اللغوية والمفسرين والبلاغيين، بيد أنه لم يحظ بالدراسة التطبيقية الكافية التي تسفر عن مزيته في التعبير وتحسينه للمعنى. وثمة دراسة نظرية للدكتور نزيه عبد الحميد فراج بعنوان: مصطلح التجريد دراسة في التاريخ والمفهوم البلاغي، عنيت بالجانب الاصطلاحي، مع بعض التطبيقات التوضيحية. بالإضافة إلى دراسة أخرى للباحثين د. مثنى عبد الرسول شكري ود. عدوية الشرع بعنوان: التجريد في العربية. مفهوم بين البلاغة والدلالة. وهذه الدراسة على أهميتها وإحكامها انصبحت عنايتها على تعريفاته وبيان سيرورة مفهومه وتقسيماته. ومع إيراد الشواهد التوضيحية في الكتاب نجد غلبة الجانب النظري على التحليل البلاغي المفضي إلى أغراضه وإبراز مزيته في الكلام وسياقه.

فكان هذا البحث محاولة لاستثمار تلك الدراسات الرصينة التي وقفت على المصطلح ومفهومه، واستقصت أقسامه وفنونه، وإظهار ما غاب من الدراسة التحليلية التي تستلهم الفكرة من شواهد العربية.

فقام البحث على الشواهد الحديثية التي طالما غابت عن مصنفات البلاغيين الذين احتفوا بالشاهد القرآني والموروث الشعري والنثري، مع إغضاء عن الشاهد الحديثي رغم احتوائه على الكثير من الأساليب واللطائف اللغوية التي لا نكاد نعثر عليها في المنقول من الكلام الفصيح.

ومن هنا كانت أهمية تقصي شواهد التجريد في كتب الحديث واستظهار مكانتها المعنوية وأغراضها في الكلام، لتكون لبنة تُضاف إلى بنیان دراسات البلاغة النبوية من جهة، وبلاغة التجريد من جهة أخرى.

تعريف التجريد:

لغة: "الجيم والراء والدال أصل واحد، وهو بدؤ ظاهر الشيء حيث لا يستتره ساتر، ثم يُحمل عليه غيره مما يشاركه في معناه.." (ابن فارس 1979، 452/1)، وجاء في اللسان: ".ورجل أجرد لا شعر عليه، وثوب جرد وخلق قد سقط زئبره، والجرد من الأرض ما لا ينبت،.. والسماء جرداء إذا لم يكن فيها غيم، وأرض جردية لا نبات بها، وتجرد من ثيابه تعرى..." (ابن منظور 1414، 115/3).

اصطلاحاً: أن يُنتزع من أمر متَّصف بصفة أمر آخر مثله في تلك الصفة، مبالغة لكمالها فيه، حتى كأنه بلغ من الاتصاف بها مبلغاً يصح أن ينتزع منه أمر آخر موصوف بتلك الصفة (ابن معصوم المدني، دت، 470/1).

وقد عني علماء العربية بفن التجريد فنما واستحصد في دراساتهم على اختلاف مشاربهم، ويُذكر لابن الأثير الفضل في تأصيل مصطلحه ووضع حدوده وأقسامه. ولعل أول من أشار إليه ونبّه عليه سيبويه الذي ذكره في باب "هذا شيء ينتصب على أنه ليس

من اسم الأول ولا هو هو"، ويقول: "واعلم أن الشيء يوصف بالشيء الذي هو هو، وهو من اسمه، وذلك قولك: هذا زيد الطويل ويكون هو هو وليس من اسمه..." (سيبويه 1988، 121/2)، وعقد له ابن جني باباً وقال: "اعلم أن هذا فصل من فصول العربية طريف حسن" وقال في مفهومه: "العرب قد تعتقد أن في الشيء من نفسه معنى آخر كأنه حقيقته ومحصوله، وقد يجري ذلك إلى ألفاظها لما عقدت عليه معانيها. وذلك نحو قولهم: لئن لقيت زيداً لتلقين من الأسد، ولئن سألته لتسئلن منه البحر. فظاهر هذا أن فيه من نفسه أسداً وبحراً، وهو عينه هو الأسد والبحر لا أن هناك شيئاً منفصلاً عنه وممتازاً منه" (ابن جني، دت، 476/2).

ولما كانت علاقة التجريد بعلم البيان وثيقة، وعلاقة البيان بالإفهام والتوضيح لصيقة ظهرت أهمية تحسين الكلام بالفن البديعي الذي ينمي المعنى إلى ذهن المتلقي مدرجاً في قالب فني ممتع. وأحق من يستثمر هذا الفن من كان التبليغ غايته والتأثير طلبته، ومن ثم كان أحد الوسائل الجمالية التي وظفها إمام البيان ﷺ في سبيل تحقيق غاية التبليغ وتمكين الحقائق وترسيخها سعياً إلى إقرار منهج حياة وتقويم سلوك أفراد.

ويتطلب البحث في بلاغة التجريد في الحديث استحضر الأمور الآتية:

- خصوصية الخطاب النبوي وتصور صحيح لماهيته؛ ومنبعه وغاياته.

- اختلاف الحديث النبوي عن الخطاب الشعري الذي ينطلق من الخيال والتصوير لتحقيق المتعة وإثارة القبول على المستوى الجمالي.

- في الخطاب الشعري تتبلور معاناة فردية يخاطب فيها الشاعر نفسه التي يجرد منها مستمعاً قبل التوجه إلى أي مستمع خارج الذات الشاعرة، في حين تبدو الغاية في الحديث النبوي تعليمية تبينة تشريعية، ثم يأتي البعد الجمالي نتيجة تالية لهذه الغايات. (اللحام، سطلول، 2020، 235).

أقسام التجريد وصوره في الحديث النبوي:

قسم ابن الأثير ومن بعده التجريد إلى قسمين: التجريد المحض والتجريد غير المحض، ويتبع الأمثلة التي أوردها اللغويون والبلاغيون استنبات فروع لهذين القسمين، فالتجريد المحض نوعان؛ التجريد المحض بالصفات، والتجريد المحض بمخاطبة المتكلم نفسه، فأما التجريد المحض بالصفات فقد يكون بوساطة، وقد يكون بلا وساطة، وأما التجريد غير المحض فنوعان؛ مقابلة النفس وعتاب النفس.

ومع تشعب فنون التجريد لن يدور هذا البحث إلا في فلك الأحاديث التي استعمل النبي ﷺ فيها هذا الفن، ليكون ضمن حدود وروده في النصوص النبوية.

وبالنظر إلى ماهية الحديث النبوي وطبيعته، ثم باستقصاء غالب نصوصه نشير إلى اقتصار ورود هذا الفن على أحد نوعيه وهو التجريد المحض بغالب فروعه، دون التجريد غير المحض المتمثل في المشاعر الوجدانية الذاتية البعيدة عن سجية الخطاب التبليغي التعليمي النبوي.

- التجريد المحض:

هو أن تأتي بكلام هو خطاب لغيرك وأنت تريد به نفسك، أو أن تأتي بكلام يكون ظاهره خطاباً وأنت تريده خطاباً لنفسك، (ابن الأثير 1420، 406/1) فتأتي بكلام يكون ظاهره خطاباً لغيرك وأنت تريده خطاباً لنفسك، فتكون قد جردت الخطاب عن نفسك وأخلصته لغيرك، فهذا يكون تجريداً محققاً، (ابن حمزة العلوي، 1423، 41/3).

ولما بينوا أن المتكلم ينتزع من أمر ما ذي وصف فأكثر أمراً آخر فأكثر مثله في الصفة أو الصفات على سبيل المبالغة (حينكة الميداني، 1996، 431/2) ظهر أن تجريد الأشياء بالصفات يكون تارة بلا وساطة، وتارة بوساطة.

أ- التجريد المحض بوساطة، ويكون بوساطة الحروف والأدوات، أو بوساطة الأساليب.

فمن الأدوات حرفا الجر؛ "من" التجريدية، و"في".

وتدخل "من" التجريدية على المنتزَع منه، نحو قولهم: لي من فلان صديق حميم، أي قد بلغ من الصداقة مبلغاً صحح معه أن يستخلص منه صديق آخر مثله فيها" (ابن معصوم المدني، دت، 470/1) ومنه قوله تعالى: {وَلَوْ كُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ} (آل عمران، الآية 104). فقد جُرِدَت من المخاطبين أمة أخرى للمبالغة في هذا الحكم، كما يُقال: لفلانٍ من بنيهِ أنصار. (ابن عاشور 1984، 38/4).

ونقف في الحديث النبوي على قوله ﷺ: "إياك ومحقرات الذنوب فإن لها من الله طالباً" (الشهاب القضاعي 1986، 95/2) فالحديث يدل على أن الله تعالى هو الذي يطلب المذنب معاقباً إياه بهذه الذنوب، فجَرِدَ هذه الصفة توسعاً في الكلام. قال الطيبي: "هو من باب التجريد، كقول القائل: وفي الرحمن للضعفاء كافٍ" (الطيبي، 1997، 3388/11).

وفي قوله ﷺ: "ما رأيت من ناقصات عقل ولا دين أغلب لذي لبٍ منكُنْ" (أبو داود 2009، 68/7) (أذهب لذي) "تجريد لصفة أراد أن يثبتها في المخاطبات، فاستعمل "من بياناً للناقصات على سبيل التجريد، كقولك: رأيت منك أسداً، جرد من إحدان ناقصات" (الطيبي 1997، 465/2).

ومن أمثلة "من" التجريدية حديث أنس رضي الله عنه قال: «لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله ﷺ المدينة، أضاء منها كل شيء» (الترمذي 1998، 17/6)، إذ يظهر من معاني "من" المتعددة معنى التجريد، وهو ما لفت إليه الطيبي بقوله: "وفيه معنى التجريد كقولك: لئن لقيته لثقتين منه الأسد" (الطيبي 1997، 3817)، فقد دخلت "من" التجريدية على المنتزَع منه "ها" في قوله "منها" التي تعود على المدينة، فثبتت الملابس بينه وبين القائم به بهذه الأداة.

ومن هذا الباب قوله ﷺ لعلي رضي الله عنه: "ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى؟" (ابن ماجه 2009، 83/1) "من" التجريدية هنا المناسب لها حيث دخلت على المنتزَع منه أن تكون للابتداء، لي من فلانٍ، إذ: هي للابتداء، لأن المنتزَع مبدؤه ونشأته من المنتزَع منه الذي هو مدخول (من) إذ: هذا النوع الأول يكون مبناه على الكناية، ثم تدخل (من) على المنتزَع منه، لي من فلانٍ، فلانٍ: منتزَعٌ منه، ما هو المنتزَع؟ صديق، هو عينه لكنك لما أردت أن تدل على أن فلان هذا بلغ الغاية في هذه الصفة وأردت أن تبلغ كأنك أخذت منه شخصاً آخر" (الحازمي، دت، 9/44).

ويظهر معنى التجريد بمن في حديث عبد الله بن عمرو إذ قال: أنكحني أبي امرأة ذات حسب، فكان يأتيها، فيسألها عن بعلها فقالت: نعم الرجل من رجل لم يظأ لنا فراشاً... (النسائي 1986، 209/4) وكأنها جردت "من رجل موصوف بكذا وكذا رجلاً، فقال: نعم الرجل المجرّد من كذا فلان" (الكرماني 1981، 45/19).

ومن حروف الجر التجريدية "في" الداخلة على المنتزَع منه الوصف.

ومعلوم أن "في" تحمل معنى الظرفية في أصل استعمالها، وتخرج إلى معانٍ أخرى كالتعليل والسببية وغير ذلك. وقد يتأتى لها في السياق معنى التجريد في الصفات، كما جاء في قوله تعالى: {لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة} (الأحزاب، الآية 21) فلم يقل: لقد كان رسول الله أسوة لكم، إذ هو الأسوة، بل تحصّل من استعمال "في" ودخولها على المنتزَع منه "رسول الله" مع تأخير المنتزَع "أسوة" مبالغة دلت على اكتمال صفة الأسوة في رسول الله ﷺ.

وجاء في حديث توبة كعب بن مالك رضي الله عنه: "فذكروا لي رجلين صالحين قد شهدا بدرًا، فيهما أسوة" (مسلم، 1334، 108/8) فقوله "لي فيهما أسوة تجريد، إذ هما أسوة له.

ووردت "في" التجريدية في حديث أنس رضي الله عنه: "لما توفى رسول الله ﷺ: وجاءت التعزية سمعوا قائلاً يقول: إن في الله عزاء من كل مصيبة، وخلفاً من كل هالك ودركاً من كل ما فات (البيهقي 1344، 60/4) فمع معنى "في لقاء الله تصبراً، على تقدير

مضاف، "يراد أن في الله تسلية على التجريد، نحو قوله: وفي الرحمن للضعفاء كاف. ويؤيده القرينتان: يعني خلفاً ودركاً أي مدركاً" (الطبيي، 1997، 3827/12).

وفي بلاغة التجريد يظهر معنى دقيق قد يخفى، ولو تشوّفنا المعنى من خلال معنى الظرفية المتلبس بـ "في" لالتبس علينا المراد. ففي قوله ﷺ: "لا يتقي فيه ربه، ولا يصل فيه رحمه" لا صحة لمعنى الظرفية في "في"، بل إن الإتيان بـ "في" هنا وفيما قبله تجريد، كقوله تعالى: {لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة} لأن المال نفس الصلة لا أنها فيه، كما أنه نفس القدوة لا أنها فيه" (الصدقي 2004، 541/4).

وقد يبدو في قوله ﷺ: "وأنا تارك فيكم تقلين؛ أولهما كتاب الله فيه الهدى" (مسلم 1334، 122/7) إشكال من حيث إن الكتاب هو الهدى كما جاء في قوله تعالى: {ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين} (البقرة، الآية 2) ومن ثم فإن الحمل على معنى التجريد هو من مسالك فهم المعنى، إذ "لا منافاة بينه وبين قوله {هدى للمتقين}، لأنه إما أن يكون ما في الحديث من باب التجريد كقوله تعالى: {لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة} (الأحزاب، الآية 21) وهو في نفسه أسوة، لكن أتى بذلك مبالغة، أو يكون قوله {هدى للمتقين} بتأويل الوصف" (الصدقي، 2004، 199/5).

-ويكون التجريد بواسطة الأساليب: إذ يُستشَفَّ التجريد من خلال أحد الأساليب البلاغية.

وباستقراء الأحاديث النبوية نجد أن من الأساليب التي أسهمت في انتزاع صفة من المنتزَع منه وتجريدها لغاية معنوية أسلوبَي ذكر الخاص بعد العام، والالتفات.

-التجريد بذكر الخاص بعد العام: ويُذكر أن علم المعاني يتداخل مع علم البديع في فن التجريد، في باب ذكر الخاص بعد العام، وهذا ما يلفتنا في تعريف ابن جزى (741هـ) للتجريد إذ يقول فيه: "تكر شيء بعد اندراجِه في لفظ عام متقدم، وقال أيضاً: "التجريد هو تخصيص الشيء بعد دخوله في عموم ما تقدم" (ابن جزى 1416، 25/1).

وينسجم هذا الجانب البلاغي مع نهج النبي ﷺ في التوضيح وإفهام المعنى، فقد كان خير مبلغ لشريعة ربه وتبليغ كتابه "وتوضيح عقيدته وتبيين شريعته وحث المسلمين على اتباعه (حاجي، 2022، 140).

وإن في ذكر الخاص بعد العام تحديداً للمراد وتبنيهاً للمخاطب.

ومن الأحاديث النبوية في هذا السياق قوله ﷺ: "إن الرب سبحانه وتعالى يقول: وعزتي وجلالي لا أخرج أحداً من الدنيا أريد أغفر له حتى أستوفي كل خطيئة في عنقه، بسقم في بدنه، وإقتار في رزقه" (الملا القاري 2002، 1151/3) فمعنى الرزق مضمّن في الإقتار، إذ الإقتار ضيق الرزق وقلته، وذكر الرزق بعد الإقتار تخصيص بعد العموم. "فالإقتار مستعمل في جزء معناه على سبيل التجريد، والنكته دفع توهم أن يكون التضيق في صدره، لأن المؤمن مشروح الصدر (الملا القاري 2002، 1151/3).

وقد يأتي بالخاص وكأنه تأكيد لعموم ما سبقه، كما في قوله ﷺ: "لو أنكم دليتم بحبل إلى الأرض لهبط" (الترمذي 1998، 257/5) ودليتم "من أدليت الدلو ودليتها إذا أرسلتها البئر، ومنه قوله تعالى: {فأدلى دلوه} [يوسف، الآية 19] على التجريد أو التأكيد، والمعنى لو أرسلتم" (الملا القاري 2002، 3668/9).

ومن ذلك ما روي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: "ما سئل رسول الله ﷺ عن قَمٍّ شيئاً قبل شيء إلا يلقي بيديه كليهما لا حرج (ابن ماجه 2009، 239/4). ففي قوله: "من قدم شيئاً: تجريد، فالمراد بقوله قَمٍّ أي أتى به، فلذلك تعلق به قوله: قبل شيء، وهذا مثل قوله تعالى: {أسرى بعبد له ليلاً} (السندي دت، 246/2).

وينكر في هذا السياق قوله ﷺ: "وإذا عرستم بالليل، فاجتنبوا الطريق، فإنها مأوى الهوام بالليل. (مسلم 1334، 54/6) إذ فيه تجريد، فالتعريس هو النزول في آخر الليل، وأعرس القوم: نزلوا في آخر الليل للاستراحة (الملا القاري 2002، 2513/6).

والظاهر أن التخصيص بعد العموم يسهم في تصوير المشهد وبيان المعنى كما في الأحاديث المذكورة وكما في قوله ﷺ: "تنطحه بقرونها" من حديث: الذي نفسني بيده، لا يموت رجل، فيدع إبلاً أو بقراً، لم يؤد زكاتها، إلا جاءته يوم القيامة أعظم ما كانت وأسمه، تطؤه بأخفافها، وتنطحه بقرونها (الترمذي 1998، 5/2) فنطحها لا يكون إلا بالقرون، لكن بتجريد المنتزع يرسم في الذهن معنى لا يلمح إلا بذكرها.

إن لنكر للتجريد بذكر الخاص بعد العام أغراضاً نلتمسها مما ورد في الحديث النبوي نذكر منها:

- دفع التوهّم ورفع الاحتمال.
- التأكيد وتوضيح المعنى.
- استحضار الصورة.

التجريد والالتفات:

وكما تداخل التجريد مع نكر الخاص بعد العام أحد فروع علم المعاني، تداخل مع محسن معنوي آخر هو الالتفات. والالتفات هو "انصراف المتكلم عن المخاطبة إلى الإخبار وعن الإخبار إلى المخاطبة وما يشبه ذلك، ومن الالتفات الانصراف عن معنى يكون فيه إلى معنى آخر. قال الله جل ثناؤه: {حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرِينِ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ} (يونس، الآية 22) وقال: {إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ} ثم قال: {وَيَبْرُؤُوا لِلَّهِ جَمِيعًا} (إبراهيم، الآيات 19-21) (ابن المعتز، 153/1990).

وفطن علماء البلاغة لتشابه الالتفات والتجريد، ولفتوا إليه، ومنهم القزويني الذي حدد الفروق بينهما، إذ قال: "إن مبنى التجريد على المغايرة، ومبنى الالتفات على اتحاد المعنى" (القزويني دت، 86/2) ومنهم الكفوي إذ قال: "حذف بعض معاني اللفظ وإرادة البعض، ويتعلق بمفهوم اللفظ، الالتفات على ما قالوا: هو نقل معنوي لا لفظي فقط، فبينهما عموم وخصوص من وجه (الكفوي، دت، 274). وللطبي لفتة لطيفة إلى التجريد الحاصل عن طريق الالتفات في حديثه عن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: (من سأل الله الجنة ثلاث مرات، قالت الجنة: اللهم أدخله الجنة. ومن استجار من النار ثلاث مرات؛ قالت النار: اللهم أجره من النار" (الترمذي 1998، 281/4) فلم تقل الجنة: أدخله إياي، ولا النار كذلك، "ففي وضع الجنة والنار موضع ضمير المتكلم تجريد ونوع من الالتفات" (الطبي، 1997، 1921/6) فالتجريد والالتفات عنده سياتن.

وهكذا في بيان قوله ﷺ في حديث الذي قتل تسعاً وتسعين نفساً، وسأل فقال: "هل له من توبة" (مسلم 1334، 103/8) ولم يقل: هل لي من توبة. لفت ابن حجر بقوله: "فيه تجريد أو التفات، لأن حق السياق أن يقول: ألي توبة" (ابن حجر، 1379، 517/6) فالالتفات الحاصل في الحديث بالانتقال من صيغة المتكلم إلى الغيبة يومئذ إلى تجريد الرجل من نفسه شخصاً آخر يتحدث عنه ويقول فيه: هل له من توبة.

وتحصّل من ذلك مزايا، منها تنشيط السامع، وتنبهه للإصغاء إليه.

-ويأتي تجريد الصفات أحياناً بلا وساطة، إذ ينتزع المتكلم من ذاته صفة تنتمي إليه، ويشتمل عليها، فيجردها من ذاته لغرض معنوي. ولفت أبو علي الفارسي إلى هذا الجانب في التجريد فقال: "إن العرب تعتقد أن في الإنسان معنى كامناً فيه كأنه غيره، وهو هو بعينه" (ابن الأثير 1420، 409/1).

ومثّلوا لهذا النوع بقول الشاعر:

فلئن بقيت لأرطئن بغزوة تحوي الغنائم أو يموت كريم

يريد الشاعر أن يحصل له أحد أمرين؛ أن يظفر الغنائم أو يموت، فقصد بالكريم ذاته فجرد صفة الكرم من نفسه بقصد الثناء عليها.

ونقف في الحديث النبوي على أمثلة لهذا النوع من التجريد يتضح فيها أن التجريد لم يكن محسناً معنوياً ذا غاية جمالية، بل كان ضرورة تعبيرية تحمل دلالات تنتمي إلى غاية التبليغ وتمكين الحقيقة والتعليم التي وسمت البيان النبوي وأساليبه عامة. ونورد في هذا السياق حديث فاطمة رضي الله عنها: "كان رسول الله ﷺ إذا دخل المسجد يقول: بسم الله، والسلام على رسول الله" (ابن ماجه، 263/1) فقد أبرز صفته وهو المتكلم، "على سبيل التجريد لمحا إلى منصب الرسالة ومنزلة النبوة إجلالاً وتعظيماً لشأنها كأنها غيره" (الطبيبي، 1997، 951/3).

وفي السياق نفسه نجده ﷺ يشير إلى منزلة النبوة في قوله: "اشفعوا توجروا، ويقضي الله على لسان نبيه ما شاء" (البخاري 1422، 113/2) فلم يقل: على لساني، بل جرد هذه الصفة المقصودة في الحكم. وأشار إلى مقام النبوة الذي جرده من نفسه في قوله ﷺ: وقد "تلا هذه الآية: {عسى أن يبعثك ربك مقاما محموداً} [الإسراء، الآية 79] قال: "وهذا المقام المحمود الذي وعده نبيكم ﷺ" (البخاري 1422، 131/9) فلم يقل وعدنيه، بل أشار إلى مقام النبوة على سبيل التجريد تعظيماً لشأنه.

وتأكد أهمية الإشارة إلى مقام النبوة في مواضع التشريع وتثبيت حدود الدين، إذ يكون الحكم في هذا الخطاب منسوباً إلى الصفة المعبرة التي لا بد من إظهارها، إذ مناط الحكم بها والطاعة واجبة لأجلها، ومن ثمَّ نجده ﷺ يجرد من ذاته الشريفة صفة الرسالة. ومن أمثلة ذلك قوله ﷺ: "ألا هل عسى رجل يبلغه الحديث عني وهو متكئ على أريكته فيقول بيننا وبينكم كتاب الله، وما وجدناه فيه حراماً حرمناه، وإن ما حرم رسول الله كما حرم الله". (الترمذي، 1998، 335/4) فلم يقل ما حرّمْتُ، فجاء كلامه "على سبيل التجريد" تنبيهاً على أن من اسمه رسول الله حقيق بأن يستقل بأحكام سوى ما أنزله الله عليه" (الطبيبي 1997، 631/2).

ونذكر في هذا السياق أحاديث أخرى تؤكد على مقام الرسالة وإناطة الحكم بها، من ذلك قوله ﷺ لما أراد أن يبعث معاذاً إلى اليمن، فقال: كيف تقضي؟ فقال: أقضي بما في كتاب الله، قال: فإن لم يكن في كتاب الله؟ قال: فبسنة رسول الله ﷺ، قال: فإن لم يكن في سنة رسول الله ﷺ؟ قال: أجتهد رأيي، قال: الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله" (الترمذي 1998، 9/3).

ونظيره قوله ﷺ: "ما أجد لكم إلا أن تلتحقوا بإبل رسول الله ﷺ" (البخاري 1422، 163/8) قال ابن حجر: "فيه تجريد، وسياق الكلام يقتضي أن يقول بإبلي، ولكنه كقول كبير القوم: يقول لكم الأمير مثلاً، ومنه قول الخليفة يقول لكم أمير المؤمنين: "ابن حجر، دت 111/12). وفي بعض الأحيان يكون الحكم عاماً بعيداً عن الاعتبارات والمقامات وحينها يجرد النبي ﷺ من ذاته صفة الرسالة ليبرز شخصاً يتحدث عنه ليثبت الحكم الذي لا مداراة فيها ولا اعتداد بصفة.

ومن ذلك قوله ﷺ في حديث المرأة المخزومية التي سرقت وأراد أسامة بن زيد أن يستشفع رسول الله فيها، وأراد النبي ﷺ أن يسد باب تلك الشفاعة معلناً على الملأ أن لا فرق بين أفراد الأمة، وأن ليس للمكانة الاجتماعية أو الدينية ورود في مقام الحدود. فقال: "لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها" (البخاري 1422، 175/4) وفي رواية: "لقطع محمد يدها" (البخاري 1422، 160/8) -حاشاها من ذلك- فلم يقل فاطمة بنتي، فيكون الموضوع شخصياً يخصه، بل إنه مبلغ شرع. وفي ذلك من تنبيهه على كونه القدوة في تطبيق الشرع، فإن "التعليم بالقدوة أوقع في نفس المتلقي.. ومن سماته تحلي المرابي بالصفات الفاضلة وتطبيق ما يدعو إليه" (نصار، 2023، 14).

وكثيراً ما كان ﷺ يستعمل هذا الأسلوب في القسم فيقول: "والذي نفس محمد بيده" ويقول: "والذي نفس أبي القاسم بيده"، فهذا من أسلوب التجريد، لأنه جرد من نفسه من يُسمّى أبا القاسم وهو هو، وأصل الكلام: والذي نفسي".

وأشار ابن حجر إلى التجريد الحاصل في هذا القسم مبيناً لطف المعنى بقوله: "وفي الحلف بذلك زيادة في التأكيد، لأن الإنسان إذا استحضر في نفسه وهي أعز الأشياء عليه بيد الله تعالى يتصرف فيها كيف يشاء استشعر الخوف منه فارتدع عن الحلف على ما لا يتحققه" (ابن حجر 270/11).

ونجده ﷺ يُبعد حظ نفسه ويعلم عن إيمانه في قوله: "أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله" (البخاري 1422، 14/1) فهو يجرد نفسه، إذ هو الرسول الذي أرسله الله، المبلّغ عن الله.

أغراض التجريد في الحديث النبوي:

ذكر البلاغيون فوائد أسلوب التجريد، وبينوا أن من أهمها:

1- التوسع في الكلام.

2- تمكن المخاطب من إجراء الأوصاف المقصودة على نفسه. إذ هو خطاب ظاهره لغير المتكلم، والحقيقة أنه موجه إليه واستناداً إلى ما أسلفنا من خصوصية الخطاب النبوي؛ ماهيته وأبعاده، منطلقه وغاياته، وإلى كونه خطاب تبليغ سرى أسلوب التجريد في أسلوبه محققاً غايات معنوية، تتسم وماهيته ومتطلباته، وكان ضرورة أسلوبية تحقّق من خلالها:

1- التوسع في الكلام في الخروج عن شخصه وذاته ﷺ إلى شخصية النبي المرسل المبلّغ لتثبيت أحكام الدين وتحقيق غاية الرسالة.

2- المبالغة والتأكيد بأساليبه المتنوعة ولاسيما الالتفات وتخصيص العام.

3- تصوير المعنى واستحضار جزئياته ولا سيما في ذكر الخاص بعد العام.

الخاتمة:

إن الأساليب البيانية في الخطاب التعليمي ضرورة ملحة، ووسيلة مهمة من وسائل تمكين الحقائق. ومن ثم انسجمت الوسائل البيانية والغاية التعليمية في الخطاب النبوي، ومن بينها التجريد. وتبين من خلال البحث في بلاغة التجريد النتائج الآتية:

1- لم يكن الخطاب النبوي خطاباً ذاتياً ينطلق من مُنشئه، ومن هنا كانت أهمية أسلوب التجريد الذي غدا في الحديث النبوي نكأة لتحقيق غاية التبليغ.

2- تنوعت أساليب التجريد المحض عن طريق الحروف التجريدية والأساليب البلاغية، في حين غاب التجريد غير المحض عن الحديث النبوي لعدم انسجام غايته وأبعاده الذاتية مع ماهية الخطاب الدعوي التبليغي.

3- أسهم أسلوب التجريد في توضيح المعاني واستلفات المخاطب واستدعاء خياله فكان أحد وسائل التوضيح في الخطاب التعليمي.

التوصية:

بذل الباحثون جهوداً في دراسة الفنون البلاغية في الحديث النبوي، وغاب عن هذه الدراسات إبراز أثر هذه الفنون في الإقناع والتأثير، ومن ثم يوصى بدراسات مخصصة لبيان إسهام البلاغة ولا سيما البديع في تحقيق الغايات التعليمية، وبيان جانبي توضيح المعاني والتأثير الوجداني في الرسالة اللغوية النبوية.

التمويل:

هذا البحث ممول من جامعة دمشق وفق رقم التمويل (501100020595).

المصادر والمراجع:

1. ابن الأثير، نصر الله بن محمد الشيباني الجزري أبو الفتح، ضياء الدين (1420 هـ)، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت.
2. البخاري: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله (1422هـ)، صحيح البخاري، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، ط1، ج9.
3. البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخراساني، أبو بكر، (1344هـ)، السنن الكبرى، ط1 مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند ببلدة حيدر آباد.
4. ابن جزى أبو القاسم، محمد بن أحمد (1416)، التسهيل لعلوم التنزيل، تحقيق الدكتور عبد الله الخالدي، ط1، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت.
5. ابن جني أبو الفتح عثمان، (دت)، الخصائص، ط4، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ج3.
6. حاجي، د، عبد العزيز. (2022م)، خصائص المنهج القرآني في الدعوة إلى العقيدة، مجلة جامعة دمشق للعلوم القانونية. المجلد 2 (4).
7. الحازمي أبو عبد الله، أحمد بن عمر بن مساعد، شرح الجواهر المكنون في صدف الثلاثة الفنون، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشيخ الحازمي، 49 درساً.
8. حَبَنَكَة الميداني، عبد الرحمن بن حسن (1416 هـ - 1996م)، البلاغة العربية، دار القلم، دمشق، دار الشامية، بيروت الأولى، ج2.
9. ابن حمزة العلوي، يحيى بن حمزة الحسيني الطالب (1423 هـ)، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، ط1، المكتبة العصرية، بيروت، ج3.
10. أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني (1430 هـ - 2009 م)، سنن أبي داود، تحقيق شعيب الأرنؤوط ومحمد كامل قره بللي، ط1، دار الرسالة العالمية.
11. السندي، أبو الحسن محمد بن عبد الهادي التتوي، (دت)، حاشية السندي على سنن ابن ماجه، دار الجيل - بيروت.
12. سبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر (1408 هـ - 1988 م)، الكتاب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط3، مكتبة الخانجي، القاهرة.
13. السيد اللحام، دبدبع، وسحلول، د. هند (2020م)، دراسات أدبية ولغوية في الحديث النبوي الشريف، جامعة دمشق. 398
14. الشهاب القضاعي، أبو عبد الله محمد بن سلامة القضاعي، (1407-1986)، مسند الشهاب، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي، ط2، مؤسسة الرسالة - بيروت، ج2.
15. صحيح البخاري، ط2، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ج25.
16. الصديقي، محمد علي بن محمد البكري، (1425 هـ - 2004)، دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، تحقيق خليل مأمون شيا، ط4 دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ج8.
17. الطيبي، شرف الدين الحسين بن عبد الله (1417 هـ - 1997 م)، شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بـ (الكاشف عن حقائق السنن)، تحقيق د. عبد الحميد هنداوي، ط1، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة - الرياض، ج13.
18. ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد (1984 هـ)، التحرير والتتوير «تحرير المعنى السديد وتتوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، دار التونسية للنشر، تونس، ج30.

19. العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر (1379)، فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي دار المعرفة، بيروت، 13 ج.
20. ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن زكريا (1399هـ - 1979م)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 6 ج.
21. القزويني محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، (دت)، الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، ط3، دار الجيل، بيروت، 3 ج.
22. الكرماني، محمد بن يوسف شمس الدين (1401هـ - 1981م)، الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، ط2، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 25 ج.
23. الكفوي أبو البقاء الحنفي أيوب بن موسى الحسيني(دت)، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت.
24. ابن ماجه القزويني، (أبو عبد الله محمد بن يزيد (430 هـ - 2009م)، سنن ابن ماجه، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرين، ط1، دار الرسالة العالمية.
25. مسلم بن الحجاج، أبو الحسن القشيري النيسابوري (1334)، صحيح مسلم، دار الجيل ببيروت، 8 ج.
26. ابن المعتز، أبو العباس، عبد الله بن محمد المعتز بالله، (1410هـ - 1990م)، البدیع في البديع، ط1، دار الجيل.
27. ابن منظور، محمد بن مكرم، جمال الدين الأنصاري الرويفعي الإفريقي (1414هـ)، لسان العرب، ط3، دار صادر، بيروت، 15 ج.
28. النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني (1406-1986)، المجتبي من السنن = السنن الصغرى للنسائي، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة الطبعة: ط2، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، 9 ج.
29. نصار، د. نصار. (2023م)، الاتصال الوجداني، دراسة تحليلية في منهج النبي التربوي، مجلة جامعة دمشق للعلوم القانونية، المجلد 3(3): 1-25.
30. الهروي القاري، علي بن سلطان محمد، أبو الحسن نور الدين الملا (1422هـ - 2002م)، مراقبة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ط1، دار الفكر، بيروت، لبنان، 9 ج.
1. Dr.Hajji, Abdul Aziz,(2022) Characteristics of the Qur'anic method in calling to the doctrine, Journal of Damascus University for Egal Sciences Volume 2(4).
 2. Dr.Nassar Nassar,(2023) Pedagogical methods of communication (emotional communication), Journal of Damascus University for Egal Sciences Volume 3(3) 1-.